TU
جامعة الطائف
TAIF UNIVERSITY

تحقيق التوحيد في أدعية الأنبياء عليهم السلام الواردة في القرآن الكريم

د. الجوهرة بنت سعد الجبر
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المساعد
بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن بالرياض

TU

جامعة الطائف
TAIF UNIVERSITY



ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه. فقد اشتمل البحث على بيان معنى تحقيق التوحيد وأنه قدر زائد على معنى التوحيد، فهو انجذاب الروح إلى الله محبة وخوفاً، ولا يكون بالتمني وإنما بما وقر في القلب من عقائد الإيمان وحقائق الإحسان، ولما كان الدعاء منهج حياة وصلة بالله، كان فيه تحقق زيادة الإيمان للعبد والمحبة والمعرفة والقرب من ربه، وإذا أتى بآدابه كان مظنة لإجابة دعاءه وتحقيق مراده.

ولقد كان لدعاء الأنبياء مزيد توثيق بالتوحيد، حيث تحققت دلالاته المتنوعة في توحيد الربوبية من الإحياء والبعث والنفع والضرّ والرزق والعطاء والفتح والنصر والتوكل والاستعانة، وكذلك دلالات توحيد الألوهية من إفراد الله بالعبادة وتنزيه عن الشركاء والأنداد، والاستسلام والإخلاص له، والخوف والرجاء والتوسل، وكذلك دلالات توحيد الأسماء والصفات حيث زخرت أدعية الأنبياء بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا تنزيهاً وتعظيماً له، وإيماناً بمعيته، وإحاطته وعلمه وسمعه وبصره وقدرته. ولقد أثمرت تلك الدلالات آثار قلبية كإثبات الوحدانية، وحصول الطمأنينة واليقين، وحسن الظن بالله مع تفويض الأمر إليه، والتوكل عليه، وآثار حسية كالتمكين، وردّ البلاء ورفعه، وصلاح الحال والذرية، وحصول الأمن والبركة، والذكر الحسن، واستجلاب المغفرة والرحمة. والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

الكلمات المفتاحية: تحقيق التوحيد، الدعاء.

ABSTRACT

Praise be to Allah, and may blessings and peace be upon our Prophet Muhammad (pbuh), his family and companions. This research includes an explanation of the meaning of achieving Tawhid "monotheism; unification or oneness of Allah" as it means more beyond the meaning of Tawhid itself. It means the attraction of souls to Allah mixed with love and fear. This can never happen by wishing, but by beliefs of faith and truths of benevolence stated in heart. Since supplication is a lifestyle and a connection with God, it increases faith, love, knowledge, and closeness to Allah. When it is performed by its etiquette, such supplication is expected to be answered.

Prophets' supplication was very much related to monotheism, as its various indications were proven in: the UNIFICATION OF DEISM including revival, resurrection, benefit, harm, sustenance, giving, conquest, victory, trust and assistance; the UNIFICATION OF DIVINITY including worshipping none but Allah alone with no partners; surrendering and devotion to Him; fear, hope and supplication, and the UNIFICATION OF NAMES AND ATTRIBUTES, as the supplications of the prophets abounded with the beautiful names and attributes of Allah, honoring and respecting Him, and believing in His presence, awareness, knowledge, hearing, eyesight and ability. These indications have had PSYCHOLOGICAL effects, such as proving oneness, attaining reassurance and certainty, having good faith in Allah with delegating things to Him, trusting in Him, and MATERIAL effects such as empowerment, repelling calamity, being in good condition and having good offspring, attaining security and blessing, good remembrance, and seeking forgiveness and mercy. Praise be to Allah with His grace righteous deeds are done.

Key words: achieving monotheism, supplication.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله وعلى آله وأصحابه، وعلى سائر من اقتفى أثره، واتبع منهجه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

إن التوحيد هو الأساس الذي تُبنى عليه الحياة وتبنى عليه أعمال الإنسان، والله سبحانه وتعالى لا يقبل من العبد أي عمل في هذه الدنيا مبتغيا به وجه الله ﷻ إلا إذا كان مبنياً على هذا الأساس المتين، وهو توحيده سبحانه.

فحقيقة التوحيد ترد الأشياء كلها إلى الله تعالى وحده، خلقاً وإيجاداً، تصريفاً وتدبيراً، بقاء وفناءً، حياة وموتاً، نفعاً وضراً، حركة وسكوناً. قال تعالى:﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(١).

ولما كان للدعاء شأن عظيم في تحقيق التوحيد إذ به يتصل العبد بربه ﷻ، ويطرق باباً من أبواب العبادة التي يتقرب بها إليه ﷻ، ويتحقق به سلامته من الضعف والعجز، كما أنه سبباً في دفع البلاء قبل وقوعه، ورفعه بعد نزوله، ويفتح بالدعاء باب المناجاة، فيقوم العبد لإنزال حاجته بباب ربّه ﷻ، فيفتح له الله ﷻ باب محبته، ومعرفته، وباب الخشوع والخضوع له، والاستعانة به والاستغاثة فيكون ما فتحه الله سبحانه له أحبّ إليه من حاجته، ويعرف نعمته وامتنانه وفضله عليه؛ حيث أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة والإثابة، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾(٢).

(١) سورة الأعراف، الآية٥٤
(٢) سورة البقرة، الآية ١٨٦

وقد أرسل اللّه ﷻ رسله عليهم السلام لتحقيق التوحيد ووفقهم للدعاء، الذي جاء ذكر كثير منه في القرآن الكريم، محققين به العبودية الكاملة للّه سبحانه مع صدق اللجوء إليه سبحانه، لذا رأيت البحث في أدعيتهم الواردة في القرآن الكريم وجعلته بعنوان (تحقيق التوحيد في أدعية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- الواردة في القرآن الكريم).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- مكانة الدعاء وأثره في حياة المسلم.

٢- إظهار عبودية الرسل -عليهم الصلاة والسلام- لله تعالى بالدعاء للتأسي بهم.

أهداف البحث:

١- إبراز أهمية الدعاء وأثره في تحقيق التوحيد.

٢- توضيح دلالات تحقيق التوحيد في أدعية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

الدراسات السابقة:

لم يفرد أحد - على حدّ استقرائي - تحقيق التوحيد في أدعية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- بدراسة مستقلة، ولكن تناول بعض الباحثين أدعية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ضمن جملة من الموضوعات.

ومن ذلك:

١- الدعاء في ضوء الكتاب والسنة:جهاد محمد تنجونج، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز،١٤٠١ه.

٢- الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية: جيلان بن خضر العروسي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، ١٤١٧هـ ، وكلاهما تكلما فيه عن الدعاء وآدابه وأنواعه ومراتبه، والدعاء المشروع والدعاء المبتدع وغيرها من التفاصيل ولم يتطرق لتحقيق التوحيد في أدعية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

٣- الدعاء في القرآن: صالحة الشريف الهجاري ، رسالة ماجستير، كلية التربية - ١٤١٣هـ ، وهي في تخصص التفسير ولم تتطرق لتحقيق التوحيد في أدعية الأنبياء-عليهم الصلاة والسلام-.

٤- وظيفة الدعاء في الدعوة إلى اللّه: غيداء الفيغاوي، رسالة ماجستير المعهد العالي للدعوة والاحتساب بجامعة الإمام، ١٤٣٥هـ تخصص الدعوة وكذلك لم تتطرق لموضوع بحثي.

٥- دعاء إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم «دراسة تفسيرية»، أ.د مي الحربي، بحث منشور، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية بجامعة الأميرة نورة- كلية الآداب.

خطة البحث:

يتضمن البحث مقدمة، وتمهيد، ومبحثان، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وتشمل أهمية البحث وأسباب اختياره وأهدافه، ومنهج البحث فيه.

التمهيد: ويشتمل على :

١- معنى تحقيق التوحيد.

٢- تعريف الدعاء لغة وشرعا.

٣- أهمية الدعاء وأنواعه وآدابه المتعلقة بالتوحيد.

المبحث الأول: دلالات تحقيق التوحيد في أدعية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

المبحث الثاني: الآثار العقدية لأدعية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

الخاتمة: تشمل أهم النتائج والتوصيات.

منهج البحث:

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي التحليلي.

حدود البحث: أدعية الأنبياء الواردة في القرآن الكريم تحقيق التوحيد فيها، ودلالاتها.

التمهيد

١- معنى تحقيق التوحيد:

التحقيق: في اللغة «(حق) الحاء والقاف أصلٌ واحد وهو يدل على إحكام الشيء وصحّته. فالحقُّ نقيض الباطل، ثم يرجع كل فرع إليه بجودة الاستخراج، وحُسْن التلفيق، ويقال حق الشيء وجب ... ويُقال حَقَقْتُ الأمرَ وأحقَقْتُه، أي كنتُ على يقين منه»[(١)]. ، «ويقال أحقَقْت الأمر إحقاقاً إذا أحكمته وصَحَّحته»[(٢)] و«حَقَقْتُ الأمرَ أَحُقُّهُ: إذا تَيَقّنْتُهُ أو جَعَلْتُهُ ثابتاً لازماً، ...وحَقِيقة الشيء: مُنْتَهَاهُ وأَصْلُهُ المُشْتَمِلُ عليه»[(٣)]. والتحقيق «رجع الشيء إلى حقيقته بحيث لا يشوبه شبهة، وهو المبالغة في إثبات حقيقة الشيء بالوقوف عليه»[(٤)].

التوحيد لغة: « (وَحَدَ) الْوَاوُ وَالْحَاءُ وَالدَّالُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الِانْفِرَاد » [(٥)]. ووحَّد الشيء إذا جعله واحدا «واللّه الواحد الأحد ذو الوحدانية ... فالواحد منفرد بالذات في عدم المثل والنظير، والأحد منفرد بالمعنى «[(٦)].

وتحقيق التوحيد قدر زائد على معنى التوحيد وهو: «معرفته، والاطلاع على حقيقته، والقيام بها علمًا وعملاً، وحقيقة ذلك هو انجذاب الروح إلى اللّه محبة

---

(١) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ٢٤٤-٢٤٥، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو ، دار الفكر- بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م. ينظر: لسان العرب لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور ٤٩/١٠، دار صادر - بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤ هـ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ٤٩/١٠

(٣) المصباح المنير لأحمد بن محمد الفيومي ٧٨، اعتنى به: يوسف الشيخ محمد ، ط ٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، المكتبة العصرية- صيدا -بيروت. ينظر: التوقيف على مهمات التعاريفلمحمد عبد الرؤوف المناوي ٢٨٨، تحقيق: محمد الداية، ط ٢، ١٤١٠-١٩٩٠م

(٤) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ،لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي، ٢٩٦ ، قابله : د. عدنان درويش ومحمد المصرروي، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط ٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٥) معجم مقاييس اللغة لا بن فارس ١٠٨٤ .

(٦) ينظر: لسان العرب ٤٥٠/٣.

وخوفًا، وإنابة وتوكلاً، ودعاء وإخلاصًا وإجلالاً وهيبة، وتعظيمًا وعبادة. وبالجملة فلا يكون في قلبه شيء لغير اللّه، ولا إرادة لما حرم اللّه، ولا كراهة لما أمر اللّه، وذلك هو حقيقة لا إله إلا اللّه، فإن الإله هو المألوه المعبود»[١].

كما يكون تحقيق التوحيد: بتهذيبه وتصفيته من الشرك والبدع والمعاصي[٢].

ومن أخص ما يدل على تحقيقه: كمال القنوت لله ﷻ، وقوة التوكل على اللّه ﷻ؛ بحيث لا يلتفت القلب إلى المخلوقين في شأن من شئونه، ولا يستشرف إليهم بقلبه، ولا يسألهم بلسان مقاله أو حاله، بل يكون ظاهره وباطنه وأقواله وأفعاله وحبه وبغضه وجميع أحواله كلها مقصودا بها وجه اللّه ﷻ، متبعا فيها رسول اللّه ﷺ» [٣].

وتحقيق التوحيد يكون من وجهين: واجب ومندوب، فالواجب تخليصه وتصفيته عن شوائب الشرك والبدع والمعاصي...، والمندوب ترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس، وحقيقته هو انجذاب الروح إلى اللّه فلا يكون في قلبه شيء لغيره، فإذا حصل تحقيقه بما ذكر، فقد حصل الأمن التام، والاهتداء التام [٤].

ونخلص مما سبق إلى أن تحقيق التوحيد لا يكون بالتمني والدعاوى الخالية من الحقائق، وإنما تحقيقه يكون بما وقر في القلوب من عقائد الإيمان وحقائق الإحسان.

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد اللّه بن عبد الوهاب ٧٤، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- بيروت، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب٨٧، تحقيق: د.الوليد بن عبد الرحمن آل فريان، توزيع: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية، ط٤، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م. القول السديد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ٢٨، طباعة وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد-المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٢١هـ.

(٣) ينظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ٢٨، طباعة وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٢١هـ.

(٤) ينظر: حاشية كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم٣٧، ط ٣، ١٤٠٨هـ. نسخة مصورة من المطابع الأهلية للأوفست بالرياض.

٢- تعريف الدعاء لغة وشرعاً.

الدعاء في اللغة: من «(دَعَوَ) الدَّالُ وَالْعَيْنُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَنْ تُمِيلَ الشَّيْءَ إِلَيْكَ بِصَوْتٍ وَكَلَامٍ يَكُونُ مِنْكَ. تَقُولُ: دَعَوْتُ أَدْعُو دُعَاءً» [١]. «ودعوت فلاناً أي صُحت به واسْتَدْعَيْتُهُ، ودعوت الله له وعليه دُعَاء»[٢] . و«دَعا الرجلَ دَعْواً ودُعَاءً: نَادَاهُ، ، ... وتَداعى القومُ: دَعَا بعضُهم بَعْضًا حَتَّى يَجتمعوا»[٣]. ويأتي الدعاء بمعنى الاستغاثة [٤].

وعليه فيظهر أن المعاني متقاربة وتوضح بعضها بعضاً في بيان معنى الدعاء في اللغة.

تعريف الدعاء شرعاً:

هو:» استدعاء العبد ربه العناية، واستمداده إياه المعونة، وحقيقته إظهار الافتقار إليه والبراءة من الحول والقوة التي له، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله، وإضافة الجود والكرم إليه»[٥].

ويأتي الدعاء بمعنى: «إظهار غاية التذلُّل والافتقار إلى الله، والاستكانة له»[٦]

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٣٥٦.

(٢) تاج اللغة وصحاح اللغة ١٧٠١/٢ ، لأبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر-بيروت، ط ١ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

(٣) لسان العرب لابن منظور ٢٥٨/١٤-٢٥٩. ينظر: المفردات في غريب القرآن ١٧٦، لأبي القاسم الحسين محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد عياتي، دار المعرفة- بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م. مقاييس اللغة لابن فارس ١٥/٢ ، ١٩. ينظر: لسان العرب ٤٩/١٠ .

(٤) معجم تهذيب اللغة ١١٨٧/٢، لأبي منصور محمد الأزهري، تحقيق: رياض قاسم، دار المعرفة-بيروت، ط١ ،١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

(٥) شأن الدعاء لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، ٤ ، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية-دمشق، ط٣، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ٩٥/١١، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة-بيروت، ١٣٧٩هـ.

وقيل الدعاء:» طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره ودفعه»[1]

ويظهر من هذه التعاريف المناسبة بين المعنى اللغوي والشرعي، وأنهما يطلقان على معانٍ متقاربة كالسؤال والطلب والرغبة.

فالدعاء إذاً هو ما يطلبه الداعي من ربه ﷻ، من أمور الدنيا والآخرة، مع ما يُظهره من التذلل والافتقار والخضوع والبراءة من الحول والقوة، وتحقيق عبودية الثناء على الله ﷻ بما هو أهله.

أهمية الدعاء وأنواعه وآدابه المتعلقة بالتوحيد.

أهميته: الدعاء أجلّ العبادات، وأعظم الطاعات، وأنفع القربات، قال ﷺ: «الدُّعاءُ هوَ العِبَادةُ»[2] و«ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء»[3] به زيادة

(١) مجموع الفتاوى لأبي العباس أحمد بنعبد الحليم بن تيمية، ١٠/١٥، تحقيق:عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف -المدينة المنورة، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م. بدائع الفوائد لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ٢/٣ ، دار الكتاب العربي-بيروت، بدون ط- ت.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٢٩٨/٣٠، من حديث النعمان بن بشير، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، أشراف:د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة-ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م. وأبو داود في السنن: كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب الوتر ٧٦/٢ رقم(١٤٧٩)، تحقيق: محمد عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، بدون (ط-ت). والترمذي في السنن: كتاب الدعوات، باب منه ٦١/٥، رقم (٢٩٦٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح، تحقيق: بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت سنة النشر: ١٩٩٨ م، بدون-ط. وأخرجه ابن ماجه في السنن: كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، ٢/ ١٢٥٨ رقم(٣٨٢٨)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية، بدون: ط-ت. والنسائي في السنن الكبرى، ٢٤٤/١٠، كتاب التفسير، سورة غافر، رقم(١٤١٠٠)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط قدم له: عبد الله ابن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م. وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته: ١/ ٦٤١، رقم (٣٤٠٧)، المكتب الإسلامي، بدون ط-ت. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ٤٠٧/١ (١٤٧٩)، مكتبة المعارف- الرياض، ط ٢، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، وفي صحيح سنن الترمذي: ٣٨٣/٣. (٣٣٧٢) مكتبة المعارف-الرياض، ط ٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م. وفي صحيح سنن ابن ماجه: ٢٥٢/٣ (٣١٠١).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء ٥/ ٤٥٥، رقم (٣٣٧٠)،

الإيمان، وتحقيق التوحيد والمعرفة بالله؛ حيث يتجلى صدق اللجوء إليه سبحانه في السراء والضراء، وحسن التوكل عليه سبحانه، والاستعانة به ، والخضوع له، طمعاً في رحمته، وطلباً لتحقيق الحاجات الدنيوية والأخروية، وبالدعاء يجد العبد قربه من ربه ﷻ، وتعلقه به، ولذة مناجته، وراحة قلبه، وغذاء روحه، وسكينة نفسه، وطمأنينة جوارحه، وانشراح صدره، ودواء يدعم كيانه ويُقوي أركانه، ويُفرج همومه، ويُزيل غمومه، ويتغلب به على كل ضعف أو يأس قد يتسرب إليه.

والمتأمل لكتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ يُدرك مدى ما ذُكر فيهما من الاهتمام بالدعاء وبيان فضله ومكانته العلية، فالدعاء منهج حياة افتتح الله به كتابه في سورة الفاتحة ، وختم به في سورة الناس.

ومما جاء في ذكر فضل الدعاء ومحبة الله ﷻ له قوله تعالى:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[1]. وقال سبحانه:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[2].

ومما جاء في السنة:

عن مكانة الدعاء وفضله ما جاء عن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ قال: « ليس شيءٌ أكرمَ على الله تعالى من الدُّعاء»[3]. وكذلك محبة الله ﷻ للدعاء وغضبه على من لا يسأله حديث أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن لم يسأَلِ الله،

وابن ماجه في سننه: كتاب الدعاء باب فضل الدعاء ٢/ ١٢٥٨ رقم(٣٨٢٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٢/ ٩٥١ رقم(٥٣٩٢) وقال. (حديث حسن)، وفي صحيح الترغيب والترهيب: ٢/ ٢٧٦ رقم (١٦٢٩)، مكتَبة المَعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م ، و حسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ٣/٣٨٣ (٣٣٧٠). وفي صحيح سنن ابن ماجه: ٣/ ٢٥٢ (٣١٠٢).

(١)]سورة البقرة، الآية ١٨٦[

(٢)]سورة غافر، الآية٦٠[

(٣) سبق تخريجه ص ٧.

يغضَبْ عليه»[1]. وعن أنس بن مالك ﷺ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى: يا بنَ آدمَ، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا بنَ آدم، لو بلغت ذنوبُك عَنان السماء ثم استغفرتَني غفرتُ لك ولا أبالي، يا بنَ آدم، إنك لو أتيتَني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشركُ بي شيئًا، لأتيتُك بقرابها مغفرةً»[2].

وعن سلمان الفارسي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ربَّكم تبارك وتعالى حييٌّ كريمٌ، يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا»[3] . وعن أبي هريرة ﷺ قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يقول الله عز وجل: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي»[4].

(١) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الدعوات، باب منه ٥/ ٣١٧ رقم (٣٣٧٣) ، وأخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء ٢/ ١٢٥٨ (٣٨٢٧)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ٣٨٤/٣ (٣٣٨٣). وفي صحيح سنن ابن ماجه: ٢٥٢/٣ (٣١٠٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٣٥/ ٣٧٥ رقم (٢١٤٧٢). والترمذي في سننه: أبواب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده ٥/ ٥٤٨ رقم (٣٥٤٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٤٥٥/٣ (٣٥٤٠).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه: باب تفريع أبواب الوتر، باب الدعاء ٢/ ٧٨ رقم (١٤٨٨). وصححه الألباني في صحيح أبي داود: ٤٠٩/١ (١٤٨٨)، والترمذي في سننه: أبواب الدعوات ٤٤٨/٥ رقم (٣٥٥٦) وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ٤١٥/١ رقم (٢٠٧٠)، وفي صحيح الترغيب والترهيب:٢/ ٢٧٧ رقم (١٦٣٥)، وأخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الدعاء باب رفع اليدين في الدعاء ٢/ ١٢٧١ رقم (٣٨٦٥).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى ٤/ ٢٠٦٧ رقم (٢٦٧٥). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون ط– ت.

أنواع الدعاء:

اجتهد العلماء في تقسيم أنواع الدعاء، نوردها إجمالاً، ونذكر أشملها كما يلي:

الأول : قسمه الزجاج ﷺ إلى ثلاثة أنواع:

فقال «معنى دعاء الله ﷻ على أضرب، فضرب منها توحيد والثناء عليه، كقولك: يا الله لا إله إلا أنت، وكقولك: ربنا لك الحمد، إذا قلته فقد دعوته بقولك: ربنا ثم أتيت بالثناء والتوحيد. ومثله قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1]. فهذا ضرب من الدعاء.

وضرب ثانٍ: هو مسألة العفو والرحمة وما يقرب منه كقولك: اللهم اغفر لنا.

وضرب ثالث: هو مسألته من الدنيا كقولك: اللهم ارزقني مالاً وولداً وما أشبه ذلك. وإنما سُمي هذا أجمع دعاء؛ لأن الإنسان يصدر في هذه الأشياء بقوله: يا الله، يا رب ويا حي فلذلك سُمي دعاءً»[2].

الثاني: وابن القيم ﷺ قال أن الدُّعَاءُ:»يتناول دعاء المسألة، ودعاء الثناء، ودعاء التعبد، وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويُثنوا عليه بها، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها»[3].

الثالث: ما ذكره ابن جرير الطبري[4] ﷺ بعد أن ذكر حديث «الدعاء هو العبادة»،

---

(١)]سورة غافر، الآية٦٠[

(٢) معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، ٢٥٥/١ ، تحقيق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب-بيروت، ط١، ١٤٠٨ه

(٣) مدارج السالكين بين مسالك إياك نعبد وإياك نستعينمحمد بن أبي بكر بن أيوب، ١/ ٤٢٠-٤٢١. تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي-بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ. في أحد قوليه

(٤) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، كان حافظاً لكتاب الله عارفاً بالقراءات بصيراً بالمعاني فقهياً بالأحكام عالماً بالسنن بأقاويل الصحابة والتابعين من الحلال والحرام، له تصانيف كثيرة توفي سنة ٣١٠هـ . ينظر: وفيات الأعيان وأنباء الزمان لابن خلكان ١٩١/٤-١٩٢. العبر في خبر من غبر ١٥٢/٢.

ثم قال: « فأخبر ﷺ أن دعاء الله إنما هو عبادته ومسألته، بالعمل له والطاعة. [1]

وأيدّ هذا الاتجاه شيخ الإسلام ابن تيمية[2] ﷺ فقال: «لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة، ودعاء المسألة»[3]. ثم ذكر الآيات الدالة على هذا المعنى كقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾»[4].

وتبع ابن القيم[5] ﷺ شيخه في القول الثاني قال في معنى قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[6] «هاتان الآيتان مشتملتان على آداب نوعي الدعاء دعاء العبادة، ودعاء المسألة، فإن الدعاء في القرآن يراد به هذا تارة، وهذا تارة ويراد به مجموعهما وهما متلازمان»[7].

وبعد هذا العرض للأقوال التي ذكرت في أنواع الدعاء، يظهر أن القول الأول

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري، ٣/٤٨٥-٤٨٦، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٢) شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني المعروف بابن تيمية ﷺ صاحب التصانيف الكثيرة التي لم يسبقه أحد إلى مثلها، كان فريد عصره وإمام دهره، تأهل للتدريس والفتوى قبل العشرين من عمره، توفي سنة ٧٢٨هـ. ينظر: الدرر الكامنة لابن حجر ١/١٥٤. العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام لمحمد بن عبد الهادي.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/٢٣٧ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾]الفتح:١٥[٩/ ١٤٣ رقم (٧٤٩٤) واللفظ له. ومسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، ١/ ٥٢١ رقم (٧٥٨).

(٥) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، واسع الأفق معدوداً من الأكابر في الصلاح والعلم والفضائل، تتلمذ على يد علماء كُثر من أشهرهم ابن تيمية حيث تأثر به، توفي سنة ٧٥١هـ. ينظر: البداية والنهاية لابن كثير ١٤/٦٥٩، العبر في خبر من غبر للذهبي ٦/٢٨٢،

(٦)]سورة الأعراف، الآيات٥٥-٥٦[

(٧) بدائع الفوائد محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ، ٣/٢، دار الكتاب العربي-بيروت. ينظر: جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، ابن قيم الجوزية، ٧١، تحقيق: حازم القاضي، مكتبة نزار الباز- مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

يرجع في الحقيقة إلى نوعي الدعاء العبادة والمسألة، إذ أن الضرب الثاني والثالث كلاهما سؤال الله سبحانه.

وكذا القول الثاني فهو يرجع إلى نوعي الدعاء، فدعاء الثناء هو دعاء التعبد في الحقيقة.

وبذلك يظهر أن القول الصحيح هو القول الثالث: وهو أن الدعاء دعاء عبادة ودعاء مسألة؛ لشموله ودقته، وحسن استنباط التقسيم من كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ؛ حيث بيّن أنواع الدعاء في أوجز صورة شاملة عامة سالمة من أي اعتراض أو مخالفة.

-آداب الدعاء عند الأنبياء-عليهم الصلاة والسلام-:

الأدب «اجتماع خصال الخير في العبد»[1] . و « معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ»[2] .

ولما كان الدعاء هو الصلة بين الداعي وربه كان حريّ به أن يتأدب بآداب حال دعائه؛ ليكون مصيب لمواقع الإجابة.

وقد امتثل أنبياء الله -عليهم الصلاة والسلام- آداباً حال دعاءهم الله ﷻ ومناجاته وسؤاله، ظهر فيه صدق تعلقهم بربهم، وصفاء دعاءهم من النقائص، وخلوه من الالتفات إلى غير الله ﷻ، ومن هذه الآداب:

١- نسبة الخير والنعمة والفضل إلى الله ﷻ:

وهذا أدب امتثله إبراهيم ﷺ حين أثنى على ربه ﷻ، فقال:﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِىٓ

(١) مدارج السالكين ٣٧٥/٢

(٢) التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني ٢٩، تحقيق: إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي-بيروت، ط٤، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾[1]. فـ«أسند المرض إلى نفسه، وإن كان عن قدر الله وقضائه وخلقه، ولكن أضافه إلى نفسه أدباً»[2]؛ حيث «أنه أراد الثناء على ربه فأضاف إليه الخير المحض»[3].

٢- تقديم التوبة والرجوع إلى الله ﷻ:

التوبة أصل في إجابة الدعاء، فالاعتراف بالذنب والإقرار بالتقصير، والندم على التفريط، سبب مهم لقبول الدعاء، وامتثالاً لأمر سبحانه في قوله سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾[4]، وقوله سبحانه: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾[5]. فالتوبة أدب قدّمه الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- أطهر الخلق قلوباً، وأزكاها أنفسنا حال دعاءهم، بل وحثوا ورغبوا أممهم عليه، وبينوا أنه سبب لإجابة الدعاء وحصول المطلوب، قال تعالى عن آدم ﷺ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[6]. وقال عن نوح ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[7]. وقال إبراهيم ﷺ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾[8]. وقال عن داود ﷺ بعد حكمه في قضية الخصمان: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾[9]. وقال سليمان ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ

(١) [سورة الشعراء، الآيات ٧٨-٨٢]
(٢) تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير ، ١٣٢/٦، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٩هـ
(٣) زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج عبد الرحمن علي الجوزي، ٣٤١/٣، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ
(٤) [سورة النور، الآية٣٢]
(٥) [سورة هود، الآية٣]
(٦) [سوة الأعراف، الآية٢٣]
(٧) [سورة هود، الآية٤٧]
(٨) [سورة إبراهيم، الآية٤١]
(٩) [سورة ص، الآية ٢٤]

بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾[1]، وقال عن موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[2].

وأما عن حث أنبياء الله لأممهم فقد ذكر الله عن نوح عليه السلام ما قاله لقومه: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾[3]. وما قاله هود عليه السلام: ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾[4]. وقال سبحانه لأمة محمد ﷺ: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾[5].

٣- خفض الصوت بالدعاء:

من آداب الدعاء التي عَمِل بها أنبياء الله عليهم السلام خفض الصوت والإسرار به دون الجهر امتثالاً لأمر الله سبحانه قال تعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[6]. وقوله تعالى: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾[7].

وقد أثنى الله سبحانه على دعاء زكريا عليه السلام حين دعا متخفياً، فقال: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾[8].

---

(١) [سورة ص، الآية ٣٥]
(٢) [سورة القصص، الآية١٦]
(٣) [سورة نوح، الآيات١٠-١٢]
(٤) [سورة هود، الآية ٥٢]
(٥) [سورة هود، الآية ٣]
(٦) [سورة الأعراف، الآية٥٥]
(٧) [سورة الأعراف، الآية ٢٠٥]
(٨) [سورة مريم، الآيات ٢-٣]

وقد علمّ نبينا محمد ﷺ أمته هذا الأدب، روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال رسول الله ﷺ : «أيها الناس أربعوا على أنفسكم، إنكم ليس تدعون أصم ولا غائبا، إنكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم»[(١)].

ولإخفاء الدعاء وإسراره فوائدة عظيمة يجدها الداعي في نفسه إيماناً وتعظيماً وتأدباً مع ربه سبحانه [(٢)].

٤- تكرار الدعاء والإلحاح به وعدم اليأس:

تكرار الدعاء أدب تأدب به أنبياء الله سبحانه، فرغم كل المشقة والعناء التي كابدوها في دعوتهم لأقوامهم، وتحملهم لأذاهم وعنادهم ومكابرتهم، إلا أنهم صبروا ولم يتطرق اليأس إلى نفوسهم؛ بل ظهر صدق تعلقهم به ولجؤهم للقوي العزيز، فاستمروا في الدعاء وأعادوه بسطا وتفصيلاً، فهذا نوح عليه السلام يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، ولم ييأس وينقطع رجائه بربه حتى أخبره سبحانه فقال: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[(٣)]. ويعقوب عليه السلام يقول بعد فقد ولده الثاني: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[(٤)]. فاليأس لم يجد طريق ليعقوب عليه السلام رغم طول مدة الفقد إلا أن قوة رجائه، وصلته بربه لم تنقطع، وهذا من كمال العبودية وشدة إظهار الفقر والتذلل لله ﷻ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي باب غزوة خيبر، ٥/ ١٣٣ رقم (٤٢٠٥)، ومسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استحباب خفض الصوت بالذكر، ٤/ ٢٠٧٦ (٢٧٠٤) واللفظ له.

(٢) ذكر ابن تيمية شيء منها، ينظر: مجموع الفتاوى ، ١٥/١٥-١٩.

(٣)]سورة هود، الآية ٣٦[

(٤)]سورة يوسف، الآيات ٨٦-٨٧[.

٥- تحري الأحوال والأماكن والأوقات الفاضلة:

من آداب الدعاء التي امتثلها الأنبياء-عليهم الصلاة والسلام- هو تحري الأحوال التي يكونوا فيها أكثر خشوعاً وأشد تضرعاً واضطراراً، قال سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾(١). وقد استغاث نبينا محمد ﷺ بربه في غزوة بدر عند الالتقاء بالعدو والتحام الصفوف فاستجاب الله لهم، واصفاً حالهم: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٢). وكذا حال نبينا يونس عليه السلام والشدة والكرب التي كان فيها في بطن الحوت فابتهل إلى الله مضطراً بالتسبيح فأجاب الله له ونجاه: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾(٣).

كما تحرى الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- أثناء دعاءهم الأماكن الفاضلة، فالمحاريب في بيوت الله كانت أماكن أوى إليها الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لدعاء ربهم والالتجاء إليه، قال تعالى عن زكريا عليه السلام: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(٤).

وقد علّم الله سبحانه أنبيائه عليهم السلام الأوقات الفاضلة لتحيّنها حال الدعاء والذكر والاستغفار، رجاء رحمته ونيل مغفرته وكرمه، وحصول إجابة الدعوات فيها، فقال

(١) [سورة النمل، الآية ٦٢].
(٢) [سورة الأنفال، الآيات ٩-١٠].
(٣) [سورة الصافات، الآيات ١٤٣-١٤٥].
(٤) [سورة آل عمران، الآيات ٣٨-٣٩].

تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾(١). وقال تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(٢). وقال لنبينا محمد ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾(٣). وقال لنبينا زكريا عليه السلام: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾(٤).

٦- ذكر الشيء المُترتب على الدُعاء، والشيء المُترتب على الإجابة:

جاء في دُعاء نبي الله موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾(٥).

٧- الدعاء للنفس أولاً، ثم الدعاء لمن شاء: حيث أرشد الله سبحانه أنبياءه حال الدعاء البدء بالدعاء لأنفسهم قبل غيرهم، ثم الدعاء لمن شاءوا. قال تعالى مثنياً على فعل المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٦). ودعا نوح عليه السلام فقال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾(٧). وأرشد نبينا محمد ﷺ إلى الاستغفار لنفسه أولاً ثم للمؤمنين والمؤمنات فقال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾(٨).

---

(١) [سورة آل عمران، الآية ١٧].
(٢) [سورة الذاريات، الآيات ١٧-١٨].
(٣) [سورة طه، الآية١٣٠].
(٤) [سورة آل عمران، الآية٤١].
(٥) [سورة طه، الآيات ٢٥-٣٥].
(٦) [سورة الحشر، الآية١٠]
(٧) [سورة نوح، الآية٢٨]
(٨) [سورة محمد، الآية ١٩]

المبحث الأول

دلالات تحقيق التوحيد في أدعية الأنبياء

-عليهم الصلاة والسلام-

الدلالة: من «(دَلَّ) الدَّالُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا إِبَانَةُ الشَّيْءِ بِأَمَارَةٍ تَتَعَلَّمُهَا، وَالْآخَرُ اضْطِرَابٌ فِي الشَّيْءِ. فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: دَلَلْتُ فُلَانًا عَلَى الطَّرِيقِ. وَالدَّلِيلُ: الْأَمَارَةُ فِي الشَّيْءِ. وَهُوَ بَيِّنُ الدَّلَالَةِ وَالدِّلَالَةِ»[1]. «ودَلَّه على الشيء يَدُلُّه دَلاً ودَلالةً فانْدَلَّ: سدَّده إليه،... والدَّليل: ما يُسْتَدَلُّ به»[2].

فالمعاني تدور حول الإبانة والتسديد والإرشاد.

والدلالة اصطلاحاً:«ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء، كَدِلاَلَة الألفاظِ على المعنَى، ودلالةِ الإشاراتِ، الرموز، والكتابة، والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة، أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حيّ، قال تعالى: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾»[3].

ودلالات تحقيق التوحيد بالدعاء ظاهرة في كل أنواع التوحيد ، فـ» إذا دعا العبد ربه بإعطاء المطلوب ودفع المرهوب جعل له من الإيمان باللّه ومحبته ومعرفته وتوحيده ورجائه وحياة قلبه واستنارته بنور الإيمان ما قد يكون أنفع له من ذلك المطلوب إن كان عرضا من الدنيا، وأما إذا طلب منه أن يعينه على ذكره وشكره وحسن عبادته وما يتبع ذلك فهنا المطلوب قد يكون أنفع من الطلب وهو الدعاء،

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس٢٥٩.
(٢) لسان العربلابن منظور ١١/ ٢٤٨.
(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ١٧٧.

والمطلوب الذكر والشكر وقيام العبادة على أحسن الوجوه وغير ذلك»[1] .

فالعبد كلما قوي تعلقه بربه، وطمع في رحمته وكرمه وفضله ورجائه لإجابة دعاءه وقضاء حاجته، قويت عبوديته لربه، وقرب العبد منه، والتجأ إليه بكل عمل يرضيه.

فالدعاء يزيد في إيمان العبد ومحبته ومعرفته بربه سبحانه وتوحيده، ويظهر له قدرة ربه وعلمه، وإحاطته ورحمته وقربه، وسائر ما وصف به سبحانه نفسه، ويشعره بافتقاره وعجزه وحاجته للالتجاء إلى من يغنيه ويقويه ويعينه وهو اللّه سبحانه.

ولقد ظهرت دلالات تحقيق التوحيد بأنواعه في أدعية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-؛ لاستشعارهم عظمة اللّه ومعرفتهم به سبحانه، وحاجتهم له، وافتقارهم لعونه وتسديده.

المطلب الأول: توحيد الربوبية

وهو إفراد اللّه سبحانه وتعالى بالخلق والملك والتدبير [2]، ومنها إجابة الدعاء والعطاء والنفع والمنع، وقد ذكر اللّه ﷻ عن نفسه أنه رب العالمين، ورب الناس، وملك الناس ، فربوبية اللّه تعالى تتضمن «خلقهم وتدبيرهم وإصلاحهم وجلب مصالحهم وما يحتاجون إليه، ودفع الشر عنهم، وحفظهم مما يفسدهم، هذا معنى ربوبيته لهم، وذلك يتضمن قدرته التامة، ورحمته الواسعة، وإحسانه وعلمه بتفاصيل أحوالهم، وإجابة دعواتهم، وكشف كرباتهم ... فهو ملكهم الحق الذي إليه مفزعهم عند الشدائد والنوائب، وهو مستغاثهم ومعاذهم وملجؤهم، فلا صلاح لهم ولا قيام

(١) مجموع الفتاوى ١٠/٥٩٦.

(٢) ينظر: شرح العقيدة الواسطية للشيخ صالح بن عثيمين ١/٢١، اعتنى به: سعد الصميل، دار ابن الجوزي-الدمام، ط ٦، ١٤٢١هـ.

إلا به وبتدبيره»[1].

ولذا كان دعاء الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- كثيراً ما يبدأ باسم الرب، فالمتأمل لكتاب الله ﷻ يجد أنهم يقدمون اسم «رب» أو «ربنا» أو «اللهم»، لما فيها هذه الأسماء من مقتضى الربوبية، وامتثالا لأمره في كتابه: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾[3]. يقول ابن القيم ﷺ في هذا: «وسرّ ذلك أن الله تعالى يُسأل بربوبيته، المتضمنة قدرته وإحسانه، وتربيته عبده وإصلاح أمره، ويثنى عليه بإلهيته المتضمنة إثبات ما يجب له من الصفات العلى، والأسماء الحسنى»[4].

ومما جاء في تقديم اسم الرب أو ربنا، دعاء آدم وحواء -عليهما الصلاة والسلام-: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[5]. وفي دعاء نوح ﷺ: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا﴾[6]. ودعاء إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾[7]. ودعاء يوسف ﷺ: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[8]. ودعاء زكريا ﷺ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ

(١) بدائع الفوائد لابن القيم، ٢/٢٤٧.
(٢) [سورة آل عمران، الآية ٢٦]
(٣) [سورة الزمر، الآية ٤٦]
(٤) بدائع الفوائد، ٢/١٩٣-١٩٤.
(٥) [سورة لأعراف، الآية ٢٣]
(٦) [سورة نوح، الآية ٢٨]
(٧) [سوة إبراهيم، الآيات٤٠-٤١]
(٨) [سورة يوسف، الآية١٠١]

خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[1]. ودعاء موسى عليه السلام: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[2]. ودعاء سليمان عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾[3].

وقد ذكر بعض العلماء أن اسم الرب: «هو الاسم الأعظم؛ لكثرة دعوة الداعين به، وتأمل ذلك في القرآن كما في آخر آل عمران وسورة إبراهيم وغيرهما، ولما يشعر به هذا الوصف من الصلة بين الرب والمربوب مع ما يتضمنه من العطف، والرحمة، والافتقار في كل حال»[4].

المسائل المتعلقة بدلالات توحيد الربوبية في أدعية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-

المسألة الأولى: الملك والقدرة والتصرف لله ﷻ :

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[5].

فلله سبحانه التصرف المطلق في ملكوته، فمن يدعوه سبحانه يعلم أنه المتصرف في هذا الكون، والقادر القدرة الكاملة على تدبير أمره، وتغيير ما يجري فيه من حال إلى حال. ولذا امتثل نبينا محمد ﷺ أمر ربه بتعظيمه وتمجيده فدعا قائلاً: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾، فالملك والقدرة والتصرف من مقتضيات الربوبية.

(١) [سورة الأنبياء، الآية ٨٩]
(٢) [سورة القصص، الآية ٢٤]
(٣) [سورة ص، الآية ٣٥]
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١/١٣٧.
(٥) [سورة آل عمران، الآيات ٢٦-٢٧]

المسألة الثانية: إحياء الموتى وبعثهم:

من دلالات توحيد الربوبية في أدعية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- الدالة على الإحياء والبعث ما جاء في دعاء نبينا إبراهيم ﷺ حين طلب من ربه أن يريه كيف إحياء الموتى فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]. فإبراهيم ﷺ يعلم بقدرة الله تعالى على الخلق والإحياء والإماتة فهي من أفعاله سبحانه، ولم يشك في ذلك، ولكن طلبه كان ليزداد يقينه وإيمانه [2].

المسألة الثالثة: النفع والضرّ:

من دلالات توحيد الربوبية في أدعية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- التي تدل على قدرة الله ﷻ وتفرده بالنفع والضرّ، ما جاء عنهم من تضرعهم لرفع الضرّ عنهم؛ ولعلمهم أنه لا كاشف للضرّ إلا هو سبحانه، ومنها دعا أيوب ﷺ ربه متضرعاً طالباً رفع الضرّ عنه بعد سنين طوال، فوصف حاله، وتوسّل إلى الله سبحانه برحمته، فقال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[3]. فاستجاب الله له، وغير حاله، وأعطاه وزاده، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾[4]. ويوسف ﷺ دعا ربه ﷻ ليصرف عنه ضرر الفتنة، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[5]. فاستجاب الله ﷻ دعاءه، ولطف به وعصمه عن الوقوع في الذنب.

---

(١) [سورة البقرة، الآية ٢٦٠]

(٢) ينظر: المرجع السابق ٥/٤٩٣.

(٣) [سورة الأنبياء، الآية ٨٣]

(٤) [سوة الأنبياء، الآية ٨٤]

(٥) [سورة يوسف، الآيات ٣٣-٣٤].

المسألة الرابعة: الرزق والعطاء:

من دلالات التوحيد في أدعية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- سؤال ربهم سبحانه الرزق؛ لعلمهم أنه وحده الرزاق، قال تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾(١). ، لذا دعا إبراهيم عليه السلام ربه ﷻ فقال:﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾(٢). وقال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾(٣). لقد كان توحيد الربوبية أساس دعائه -عليه الصلاة والسلام- فهو يعلم أن الرزق والأمان والاستقامة كلها من أفعال الرب سبحانه، فتوجه إليه بدعائه ورجائه.

ودعا سليمان عليه السلام حين سأل الله ﷻ عطاء وملك لا ينبغي لأحد، فقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾(٤). فدلالة توحيد الربوبية ظاهرة في دعاء الله ﷻ بطلب المغفرة، ثم الملك من الوهاب كثير العطاء الذي لا تنفذ خزائنه، ويده ملأى سحاء الليل والنهار. وبذلك يزداد العبد ثقةً ويقينًا في ربه الرزاق، فلا يتوكل إلا عليه، ولا يدعو إلا إياه، فيحسن توحيده ويحصل له استقرار النفس ورضاها، قال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(٥).

المسألة الخامسة: الفتح والنصر:

من دلالات توحيد الربوبية في أدعية الأنبياء طلب النصر من الله ﷻ، كما دعا نوح

(١) [سورة الذاريات، الآية ٥٨]
(٢) [سورة البقرة، الآية١٢٦]
(٣) [سورة إبراهيم، الآيات ٣٥-٣٧]
(٤) [سورة ص، الآية ٣٥]
(٥) [سورة العنكبوت، الآية٦٠]

ولوط وشعيب ما دعاء به أنبياء الله نوح ولوط وشعيب -عليهم الصلاة والسلام-، فنوح عليه السلام يستنصر ربه على قومه، حيث ضيعوا أمره، وكذبوا رسوله فيقول: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾[1]. ولوط عليه السلام يقول: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[2]. وقال شعيب عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾[3]. ودعا نبينا محمد ﷺ بالنجاة من عقاب الظالمين، فقال تعالى: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ٩٣ رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4].

فالأدعية الواردة من الأنبياء عليهم السلام فيها إثبات قدرة الله ﷻ التامة على نصرهم وإبدال حالهم، وحصول النجاة لهم.

ويتبين مما سبق أن دعاء الأنبياء عليهم السلام وثّق معنى توحيد الربوبيّة، بتوجههم إلى ربهم ﷻ بالسؤال، وإقرارهم بأنه لا كاشف للكرب إلّا الله ﷻ، ولا نافعٍ ولا ضارٍّ ولا ناصر ومقتدرٍ إلا هو سبحانه.

المطلب الثاني: توحيد الألوهية

وهو إفراد الله ﷻ بالعبادة؛ بألا تكون عبداً لغير الله[5]. وهذا التوحيد هو الغاية من خلق الله ﷻ الجن والإنس، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[6]، ومن أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن

(١) [سورة المؤمنون، الآية ٢٦]
(٢) [سورة العنكبوت، الآية٣٠]
(٣) [سورة الأعراف، الآية ٨٩]
(٤) [سورة المؤمنون، الآيات ٩٣-٩٤].
(٥) ينظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ٢٤/١.
(٦) [سورة الذاريات، الآية ٥٦].

رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[1]، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، كما قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[2]، ولذا ظهرت دلالات هذا التوحيد في أدعية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- جلية واضحة في دعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فلا يدعى إلا هو سبحانه، ولا يعبد أو يخشى أو يرجى سواه سبحانه.

المسائل المتعلقة بدلالات توحيد الألوهية في أدعية الأنبياء-عليهم الصلاة والسلام-:

المسألة الأولى: افراد الله ﷻ بالعبادة وتنزيهه عن الشركاء والأنداد:

عبادة الله وحده لا شريك له والبراءة من الشرك أمر دعا إليه الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- فإبراهيم ﷺ قال لقومه: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴾[3]. وأمر الله ﷻ نبينا محمد ﷺ تنزيهه عن الشريك فقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴾[4]. وإثبات ألوهية الله ﷻ دون شريك: ﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴾[5]. وقال: ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾[6].

المسألة الثانية: الاستسلام والإخلاص:

الإخلاص من أعظم الأسباب لإجابة الدُعاء، وبدونه لا يُقبل عملٌ ولا دُعاءٌ، يقول سبحانه: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[7]، وقد امتدح الله أنبياءه

(١) [سورة الأنبياء، الآية ٢٥].
(٢) [سورة النحل، الآية ٣٦].
(٣) [سورة الزخرف، الآيات ٢٦-٢٧]
(٤) [سورة الأسراء، الآية١١١]
(٥) [سورة الرعد، الآية٣٠]
(٦) [سورة التوبة، الآية ١٢٩]
(٧) [سورة غافر، الآية ١٤]

-عليهم الصلاة والسلام- لإخلاصهم، فقال عن يوسف ﷺ :﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[1]. وأثنى على موسى ﷺ فقال:﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾[2].

ومن دلالات توحيد الألوهية في أدعية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- الاستسلام لله سبحانه والانقياد له، وهي عبادة سارع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لإمتثالها وفق ما أمرهم الله قال تعالى: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾[3] وقال: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4]. ولذلك استسلم نبينا نوح ﷺ بعد طلبه النجاة لابنه وأذعن قال تعالى:﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[5].

وأما ما جاء في الإخلاص لله ﷻ عند الأنبياء إذ هو الأساس الذي بُنيت عليه رسالاتهم قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[6]،. وأثنى سبحانه على موسى فقال: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾[7]. وأثنى على يوسف ﷺ فقال: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[8]. وطلب إبراهيم ﷺ من ربه الإخلاص له ولذريته، فلا نريد بعملنا إلا وجهك، فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[9].

---

(١)]سورة يوسف، الآية ٢٤[
(٢)]سورة مريم، الآية ٥١[
(٣)]سورة الحج، الآية٣٤[
(٤)]سورة البقرة، الآية ١١٢[
(٥)]سورة هود، الآية ٤٧[
(٦)]سورة البينة، الآية ٥[
(٧)]سورة مريم، الآية٥١[
(٨)]سورة يوسف، الآية ٢٤[
(٩)]سورة البقرة، الآية ١٢٨[

المسألة الثالثة: الخوف والرجاء:

من عرف الله تعالى حق المعرفة أحبّه حبّاً لا يعدله حبّ، وذلّ له ذلاً لا يدانيه ذلّ، وصرف الرجاء والخوف له وحده لا شريك له، ولما كان الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- أعلم الناس بالله ﷻ، وبما عنده من وعد ووعيد كانوا من أشد الناس لله ﷻ خوفاً وخشية، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾(١).

ومما جاء من خوفهم وابتهالهم وطلبهم المغفرة ما قاله آدم عليه السلام: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(٢). وقال نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(٣) وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾(٤)، وقال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾(٥). وقال يوسف عليه السلام ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(٦). وقال زكريا ويحيى - عليهما الصلاة والسلام - ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾(٧). والرجاء قرين الخوف، ويغلّب أحدهما على الآخر بحسب حال العبد، ومما جاء في رجاء الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ما رجاه إبراهيم عليه السلام من أن يسعده الله ﷻ بقبول دعائه، وأن لا يكون من الأشقياء، فقال:﴿وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾(٨).

---

(١)]سورة الأحزاب، الآية ٣٩[

(٢)]سورة الأعراف، الآية٢٣[

(٣)]سورة هود، الآية ٤٧[

(٤)]سورة الشعراء، الآية ٨٢[

(٥)]سورة القصص، الآية ١٦[

(٦)]سورة يوسف، الآية ٢٣[

(٧)]سورة الأنبياء، الآيات ٨٩- ٩٠[

(٨)]سورة مريم، الآية ٤٨[.

وكذلك رجا موسى ﷺ ربه هداية الطريق، قال تعالى:﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[1]. ورجا يعقوب ﷺ عودة أبناءه، قال تعالى:﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[2].

المسألة الرابعة: التوسل:

عبادة التوسّل باعثها محبة العبد لربه ﷻ، حيث أن ألفاظه تدل على حبّ الله ﷻ، والاستشفاع بما له سبحانه من أسماء، وما يستحقه من عباده، فالوسيلة التي توصل العبد لمقصوده لابد أن تكون صحيحة، منضبطة بشرع الله سبحانه. ولكل عبد مسألته التي يرجو أن يجيبها الله ﷻ له، لذا اجتهد الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في إظهار عبادة التوسل في أحسن صورة وأكمل وجه؛ يرجون قبول دعاءهم، وتحقيق مرادهم.

ومما جاء في توسل الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ما ورد عن إبراهيم ﷺ من التوسل بأفعال الله ﷻ، قال تعالى:﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾[3]. ومن ذلك أيضاً ما ورد عن أيوب وموسى وزكريا -عليهم الصلاة والسلام- من التوسل لله سبحانه ببيان الحال، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[4]. وعن موسى ﷺ قال تعالى:﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾[5]. وزكريا ﷺ:﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾[6]. قال ابن تيمية ﷺ عن أيوب ﷺ: «وصف نفسه، ووصف ربه

(١) [سورة القصص، الآية ٢٢].
(٢) [سورة يوسف، الآية ٨٣].
(٣) [سورة الشعراء، الآيات ٧٨-٨٢]
(٤) [سورة الأنبياء، الآية ٨٣]
(٥) [سورة القصص، الآية ٢٤]
(٦) [سورة مريم، الآية ٤]

بوصف يتضمن سؤال رحمته بكشف ضره، وهي صيغة خبر تضمنت السؤال، وهذا من باب حسن الأدب في السؤال والدعاء»[1].

المسألة الخامسة: التضرع والخشوع مع الرغبة والرهبة:

التضرع هو حقيقة الدعاء وروحه؛ لذا أظهر الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- تضرعهم وخشوعهم لله ﷻ، مع التذلل راغبين إلى الله وراهبين منه، ممتثلين لأمر به الله سبحانه، فقال: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[2]. وقال: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[3]. فالله «أمر بالدعاء وتعبد به، ثم قرن جل وعز بالأمر صفات تحسن معه، وهي الخشوع والاستكانة والتضرع»[4]. وذم الله سبحانه من أعرض ولم يدع بتضرع وخشوع، فقال: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾[5].

وامتدح الله ﷻ أنبيائه -عليهم الصلاة السلام- وبكاءهم من خشيته، فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَاۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا﴾[6]. ومن أدعية أنبياء الله -عليهم الصلاة والسلام- التي أظهروا فيها تضرعهم وخشوعهم وإظهار حاجتهم وافتقارهم، ما دعا نوح ﷺ ربه مظهراً حاله مع قومه وعصيانهم أمره فقال: ﴿قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا﴾[7]، وإبراهيم ﷺ يظهر افتقاره لربه فيقول: ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾[8]. وكذلك ما جاء

(١) مجموع الفتاوى ١٠/٢٤٥.
(٢) [سورة الأعراف، الآية ٥٥].
(٣) [سورة الأنبياء، الآية٩٠].
(٤) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٢٣.
(٥) [سورة المؤمنون، الآية ٧٦].
(٦) [سورة مريم، الآية ٥٨].
(٧) [سورة نوح، الآية٢١]
(٨) [سورة الشعراء، الآيات ٨٧-٨٩].

عن أيوب عليه السلام: قال تعالى:﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[1]، وما دعا به يعقوب عليه السلام بعد فقد ولديه:﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2]. وما توجه به موسى عليه السلام فقال: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾[3].

وكذا شعيب عليه السلام يدعو متذلل إلى ربه فيقول:﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾[4]. ولوط عليه السلام يدعو ربه مفتقراً إليه:﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[5]. فالتضرع والخضوع والرغبة والرهبة والافتقار إلى الله ﷻ لا غنى لأحد عنها، إذ الخلق مفتقرون إلى الغني العظيم الكريم.

المسألة السادسة: التوكل والاستعانة:

التوكل والاستعانة من أعظم أعمال القلوب، وأعلى مقامات العبودية التي يظهر فيها اعتقاد كمال الله ﷻ وغناه وملكه وحكمته وفضله ورحمته، مع افتقار العبد لربه وحاجته إليه.

وصدق توكل الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- على ربهم، وتفويض أمورهم إليه سبحانه، كان ظاهراً في أدعيتهم، كما دعا به نوح عليه السلام فقال: ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾[6]. ودعا

(١) [سورة الأنبياء، الآية ٨٣]
(٢) [سورة يوسف، الآية ٨٣]
(٣) [سورة الأعراف، الآية ١٥٥].
(٤) [سورة الأعراف، الآية ٨٩]
(٥) [سورة العنكبوت، الآية٣٠]
(٦) [سورة يونس، الآية ٧١].

إبراهيم ﷺ بعد أن تبرأ من شرك قومه، وعلم بمكرهم لم يكن له قوة لمواجهتهم إلا التوكل، فقال: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[1]. وبعد تخويف قوم هود ﷺ له وتهديهم، دعا متبرأ متوكلاً، فقال: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾[2]. وشعيب ﷺ يدعو بعد تكذيب قومه وتهديدهم بتوكله على ربه، فقال: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾[3]. وقال: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[4]. ويعقوب ﷺ لما تكالبت عليه الأحزان والهموم، توكل على ربه وفوض أمره له، فقال: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[5]. وموسى ﷺ يدعو قومه للتوكل على الله ﷻ لمواجهة فرعون ومن معه، فيقول: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[6]. وأمر الله ﷻ رسوله محمد ﷺ بالتوكل عليه، قال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾[7].

فالتوكل إذاً حصن حصين وسلاح مكين، فيه استسلام القلب للّه، وتسليم الأمور إليه، والاعتماد عليه، وبه يحصل سكون النفس، وطمأنينة القلب، وزوال الخوف والحزن واليأس.

ويتبين مما سبق أن دعاء الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وثّق معنى توحيد الألوهيّة، فإنّ الدعاء هو التوجّه بالعبادة للّه سبحانه، وبه دفع البلاء عن العباد، وجلب الرحمات التي تتنزّل على الداعي بدعائه، ويمتلأ قلب بالحب للّه، والخشوع بين يديه، والخضوع والتذلل له، فكان دعاؤهم محل اتباع وامتثال.

(١) [سورة الممتحنة، الآية٤]
(٢) [سورة هود، الآية ٥٦].
(٣) [سورة الأعراف، الآية ٨٩].
(٤) [سورة هود، الآية ٨٨].
(٥) [سورة يوسف، الآية ٦٧].
(٦) [سورة يونس، الآية ٨٤-٨٥].
(٧) [سوة النمل، الآية ٧٩].

المطلب الثالث: توحيد الأسماء والصفات

وهو «اعتقاد انفراد الرب جل جلاله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه»(١).

فيُثبت للّه ﷻ ما أثبته لنفسه في كتابه، أو أثبته له رسوله ﷺ في أحاديثه، وينفون ما نفاه عنه نفسه، أو نفاه رسوله ﷺ من غير تحريف لمعانيها ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه.

وهذا التوحيد عظيم؛ لأنه يوصل لمعرفة اللّه سبحانه وماله من الأسماء والصفات، وبه يزداد الإيمان، وتُملأ النفس بمحبة خالقها والإنابة والإخبات إليه، والرجاء، والخوف، والتعظيم والإجلال له سبحانه.

ولعظم توحيد الأسماء والصفات كانت دلالاته ظاهرة جلية في أدعية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- حيث زخرت أدعيتهم بأسماء اللّه الحسنى، وصفاته العليا تنزيها وتعظيما له. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(٢). وعلمهم اللّه ﷻ أدب متعلق بأسمائه وصفاته بأنه لا يدرك كيفيتها، ولا يُسأل عن كنهها، ومن ذلك ما أرشد إليه موسى ﷺ حين طلب النظر إلى ربه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾(٣). فـ«ليس لبشر أن يطيق النظر إليّ في الدنيا»(٤).

المسائل المتعلقة بدلالات توحيد الأسماء والصفات في أدعيةالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-:

المسألة الأولى: تنزيه اللّه ﷻ وتعظيمه:

بيّن القرآن الكريم لنا حال الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في تنزيه اللّه

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن السعدي ١٧.
(٢) [سورة النحل، الآية٦٠]
(٣) [سورة الأعراف، الآية ١٤٣]
(٤) جامع البيان للطبري ٩١/١٣.

ﷺ والثناء عليه تعظيماً له في دعائهم وتسبيحهم وتمجيدهم، يقول ابن القيم ﷺ: «الدعاء الذي تقدمه الذكر والثناء أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد، فإن انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته وافتقاره واعترافه كان أبلغ في الإجابة وأفضل»[1]، ومن أعظم التنزيه والثناء:

وأمر الله تعالى نبينا محمد ﷺ بالبدء بالتوحيد، فقال: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[2]. أي: «يكفيني ربي، لا معبود سواه، وبه وثقت، وعلى عونه اتكلت، وإليه وإلى نصره استندت، فإنه ناصري ومعيني على من خالفني وتولى عني»[3]. وقال تعالى لنبينا محمد ﷺ أيضا: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾[4].

وقال تعالى عن عيسى ﷺ حين ردّ على النصارى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[5]. فبدأ عيسى «بالتسبيح قبل الجواب لأمرين أحدهما: تنزيها له عما أضيف إليه. الثاني: خضوعا لعزته وخوفا من سطوته»[6]. وأمر نبيه محمد ﷺ بالتسبيح قال سبحانه: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[7]. أي «عظم ربك الأعلى، لا رب أعلى منه وأعظم»[8].

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ٩٠، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث- القاهرة، ط ٣، ١٩٩٩م.

(٢) [سورة التوبة، الآية ١٢٩]

(٣) جامع البيان للطبري ٥٨٧/١٤.

(٤) [سورة الأسراء، الآية ٩٣]

(٥) [سورة المائدة، الآية ١١٦].

(٦) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ٦/ ٣٧٥ ، تحقيق: حمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية-القاهرة، ط٢، ١٣٨٤ه،١٩٦٤م.

(٧) [سورة الأعلى، الآية ١].

(٨) جامع البيان للطبري ٢٤/ ٣٦٧.

- دعاؤه الله ﷻ بأسمائه الحسنى، كما أمر سبحانه:﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾(١). ومن ذلك دعاء عيسى ﷺ:﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(٢)؛ حيث ذكر اسم العزيز الحكيم في خاتمة كلامه وهو» أليق، فإن الحكمة تقتضي التسليم له، والعزة تقتضي التعظيم له، فإن العزيز هو الذي يفعل ما يريد، ولا يغلبه غيره، ولا يمتنع عليه شيء أراده، فاقتضى الكلام تفويض الأمر إلى الله في المغفرة لهم أو عدم المغفرة؛ لأنه قادر على كلا الأمرين لعزته، وأيهما فعل فهو جميل لحكمته»(٣).

- تقديم الحمد والشكر لله على آلاءه ونعمه، ومن ذلك ما قاله نبينا إبراهيم ﷺ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾(٤).

وكذلك ما حَمد به النبي سليمان ﷺ ربه قبل الدعاء فقال: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(٥).

وحث الله سبحانه نبينا محمد ﷺ على البدء بالحمد قبل الدعاء فقال: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾(٦).

وقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، ثم ليصل على النبي ﷺ ثم ليدع بعد بما شاء»(٧).

---

(١) [سورة الأعراف، الآية١٨٠].
(٢) [سورة المائدة، الآية ١١٨].
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي ٢٥٢/١، تحقيق: ، دار الأرقم بن أبي الأرقم-بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
(٤) [سورة ابراهيم، الآية ٣٩]
(٥) [سورة النمل، الآية ١٩]
(٦) [سورة الإسراء، الآية١١١]
(٧) أخرجه أبو داود في سننه: ١٦٢/٢، والنسائي: ٨٣/٣ ، والترمذي: ٤٨٨/٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح.، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٣٧/١. رقم (٦٦١).

المسألة الثانية: الإيمان بأسماء الله وصفاته التي أثبتها لنفسه سبحانه والدعاء بها:

دلت أدعية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- على صدق إيمانهم بتوحيد الأسماء والصفات، ومعرفتهم وفهمهم لمعاني أسمائه وصفاته؛ حيث ظهرت دلالاته في دعائهم تعظيماً لله ﷻ وتمجيداً وحباً ورجاء، مما زادهم إيماناً وثباتاً ويقيناً، وجعلهم يرغبون إليه ويلجئون له في كل حال.

ومن الأسماء والصفات التي دعاء بها الأنبياء ما جاء عن النبي نوح ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾[1]. وقال يعقوب ﷺ: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[2]. وقال شعيب ﷺ: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾[3]. وقال موسى ﷺ: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾[4]. وقال عيسى ﷺ: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[5]. وقال زكريا ﷺ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[6].

ومن دلالات توحيد الأسماء والصفات في أدعية الأنبياء ﷺ إيمانهم بمعية الله ﷻ وقربه منهم في كل حال فيدعونه ويرجونه، فيؤيدهم وينصرهم ويجيب سؤلهم، قال موسى ﷺ بكل ثبات ويقين بعد محاصرة فرعون له: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[7]، بتلك المعية ذهاب للخوف، وحصول الطمأنينة وهدوء النفس، وقال نبينا محمد ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه بإيمان قوي، ويقين راسخ بعد ملاحقة المشركين له: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ

(١) [سورة المؤمنون، الآية ٢٩]
(٢) [سورة يوسف، الآية ٦٤]
(٣) [سورة الأعراف، الآية ٨٩]
(٤) [سورة الأعراف، الآية ١٥٥]
(٥) [سورة المائدة، الآية ١١٤].
(٦) [سورة الأنبياء، الآية ٨٩].
(٧) [سورة الشعراء، الآية ٦٢].

وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1]. فذهب عن أبي بكر ﷺ الخوف والوحشة، وحل الأمان والسكينة والثبات في قلبه .

وكذا إيمانهم بعلم الله وإحاطته سبحانه بأحوالهم، يقول إبراهيم ﷺ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[2]. وعيسى ﷺ يجيب على سؤال الله ﷻ، فيقول: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[3]. فقد أقرّوا بعلم الله ﷻ لعلانيتهم وأنه لا يخفى عليه سرّهم. وأنه السميع البصير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[4]. ولذا كان لسمع الله ﷻ وبصره دلالة في أدعية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ومن ذلك دعاء إبراهيم ﷺ بعد رفع قواعد البيت الحرام، قال تعالى:﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[5].

وكذا أقروا بقدرة الله ﷻ ولجؤا إليه عند حلول الشدائد، وطلب الحاجات؛ لعلمهم أنه سبحانه القادر القدرة الكاملة الذي لا يعجزه شيء في تحقيق دعائهم واستغاثتهم، ولذا استغاث موسى ﷺ فقال:﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَّ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾[6]. واستغاث نبينا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[7].

---

(١) [سورة التوبة، الآية٤٠].
(٢) [سورة إبراهيم، الآية ٣٨].
(٣) [سورة المائدة، الآية ١١٦].
(٤) [سورة الشورى، الآية١١].
(٥) [سورة البقرة، الآية ١٢٧]
(٦) [سورة الأعراف، الآية ١٥٥]
(٧) [سورة الأنفال، الآية ٩]

ومن قدرته سبحانه إحداث كل شيء كائناً، أم لم يكن، ومن ذلك ما دعاء به زكريا ﷺ من طلب الذرية رغم كبر سنه، واشتعال رأسه شيباً، وزوجته عاقراً؛ لكنه عَلِم بقدرة القادر القدير المقتدر الذي لا يعجزه شيء فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[1]. وقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[2].

المبحث الثاني

الآثار العقدية لأدعية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-

الناظر لأدعية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في القرآن الكريم يرى اختلاف أساليبها وتنوع صورها، بحسب حالاتهم، وحاجاتهم، فهي أدعية رسمت منهج واضح بيّن، وشملت جوانب التوحيد وما يتعلق به من النبوة والإمامة والقدر واليوم الآخر، وكذلك شملت الأمور التي يحتاجها العبد من النصر والفتح، والذرية والشفا، ورفع الضرّ والشدة، والكرب والخوف.

وإذا أمعنا النظر في أدعية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- نجدها تمثّل مدرسة لتعليم التوحيد من كل جوانبه؛ حيث يستحضر الداعي في دعائه توحيد اللّه وأسمائه وصفاته، وعلمه ومشيئته وإرادته، وقضاءه وقدره.

لذا حرص الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- على دعاء اللّه ﷻ فيما يتعلق بدعوتهم، وأمور حياتهم؛ ليحقق اللّه لهم سؤلهم، ويُجيب دعواتهم المتنوعة، ويجنوا ثمرة دعاءهم، وينالوا موعود ربهم في الدنيا والآخرة، ولذلك ظهرت آثاره جلية، ومنها:

(١) [سورة آل عمران، الآية ٣٨]
(٢) [سورة مريم، الآية ٤]

المطلب الأول: الآثار الباطنة (القلبية)

١- تقرير التوحيد:

اشتملت أدعية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- على أمر مهم وعظيم ظهر جليا في أدعيتهم، وهو الدعوة إلى التوحيد، وإفراد الله وحده، وتأكيد ربوبيته وألوهيته، ونبذ وتسفيه كلّ إله سواه، وإثبات بطلان اتخاذه شريك مع الله ﷻ، إذ أن لبّ الدعاء هو حقيقة التوحيد، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[(١)]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[(٢)]. فدعوة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- كلهم بالوحدانية لله ﷻ، رباً وإلهةً متفرداً بأسماءه وصفاته يملأ القلب يقيناً لا شك فيه بأنه سبحانه الخالق القادر المدبر لكل شيء من أمور خلقه، وما في سماءه وأرضه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «وكلما قوي التوحيد في قلب العبد قوي إيمانه وطمأنينته وتوكله ويقينه، والخوف الذي يحصل في قلوب الناس هو الشرك الذي في قلوبهم، قال الله تعالى: ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ﴾[(٣)]»[(٤)].

وقلَّ أن يخلو دعاء من أدعية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- من ذكر اسم أو وصف له سبحانه يتجلى فيها استشعارهم بقربه سبحانه منهم، وقرب إجابة دعواتهم، وتحقيق رجاءهم. ومن ذلك ما جاء عن نوح ﵇: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾[(٥)]. ودعا إبراهيم ﵇ فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ

(١) [سورة غافر، الآية ٦٥]
(٢) [سورة الأنبياء، الآية ٢٥]
(٣) [سورة آل عمران، الآية١٥١].
(٤) مجموع الفتاوى٣٥/٢٨.
(٥) [سورة المؤمنون، الآية ٢٦].

عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1]. ودعاء أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[2]. ودعا عيسى عليه السلام فقال: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[3].

٢- كمال الطمانينة:

إن صدق اللجوء إلى الله ﷻ بالدعاء يُعطي للداعي طمانينة وثقة، وثباتا وسكونا لقلبه، ولا شيء يضاهي هذا الشعور، به يزول كل هم وحزن، أو شك أو خوف، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[4]. فقلوبهم «تطيب وتركن إلى جانب الله، وتسكن عند ذكره، وترضى به مولى ونصيرا»[5].

ولقد ظهر في حال الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- الطمأنينة والثقة بربهم، وعدم الخوف أو الحزن بصورة جلية واضحة، في مواقف حاسمة في حياتهم ودعوتهم؛ حيث أيقنوا بأن الله هو العليم الخبير، السميع البصير، القريب المجيب، العزيز الحكيم، الغني الكريم، الحي القيوم، القوي الولي النصير.

ومن ذلك قول إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[6]. فأراه الله سبحانه ما يطمئن بها قلبه، ويسكن إليه.

ونوح عليه السلام يقول: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾[7]. فأعطاه الله سؤله، وطمئن قلبه، قال تعالى: ﴿ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾[8].

---

(١) [سورة البقرة، الآية ١٢٨].
(٢) [سورة الأنبياء، الآية ٨٣].
(٣) [سورة المائدة، الآية ١١٤].
(٤) [سورة الرعد، الآية ٢٨].
(٥) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٥٥.
(٦) [سورة البقرة، الآية٢٦٠]
(٧) [سورة المؤمنون، الآية ٢٩]
(٨) [سورة هود، الآية ٤٨]

٣- اليقين وزيادة الإيمان:

إن أعظم ما يزداد به الإيمان ويقوي اليقين، ويحيى القلب، استدامة الدعاء، والإكثار من التوجه إلى الله ﷻ به في كل حين، وإظهار الافتقار بين يديه، ومعرفة قوة الله سبحانه وقدرته وعزته، وضعف الداعي وقلة حيلته وعجزه، «إذا دعا العبد ربه بإعطاء المطلوب ودفع المرهوب جعل له من الإيمان بالله ومحبته ومعرفته وتوحيده ورجائه وحياة قلبه واستنارته بنور الإيمان ما قد يكون أنفع له من ذلك المطلوب»(١).

ولقد ظهر ذلك جليا في حال الأنبياء ﷺ الذي لجؤا إلى الله سبحانه، لإجابة دعواتهم وتغير حالهم، وتفريج كربهم، وقضاء حاجاتهم، وإعطاءهم سؤلهم، وقبول توبتهم، وتيسير العمل الصالح الذي يزيد من إيمانهم، ومن اليقين وحسن الثقة بالله تعالى ما قاله إبراهيم ﷺ حينما حاجّه قومه قال لهم في يقين وثبات : ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾(٢) . وموسى ﷺ يقول بلسان الموقن: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾(٣). ونبينا محمد ﷺ يُخبر بثقة ويقين أبا بكر ﷺ في طريق الهجرة بمعية الله فيقول: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾(٤).

٤- حسن الظن بالله:

حسن الظن بالله في كل موطن وحال، عبادة قلبية عظيمة، به يتحقق يقين العبدُ بربه ﷻ في كل ما يقعُ عليه من أقدار، ويعلم أنها الخير والرحمة.

إنّ حسنَ الظنّ بالله يجعل الداعي يطمئنُّ إلى ركن شديد؛ فالله ﷻ لا يضيع

(١) مجموع الفتاوى ٥٩٦/١٠.
(٢) [سورة الأنعام، الآية٨٠-٨١]
(٣) [سورة الشعراء، الآيات ٦١-٦٢]
(٤) [سورة التوبة، الآية٤٠]

دعاء الداعي، ولا يخيب أمله، بل يعمّه بفضله ورحمته؛ حتى ينشرح صدره ويريح قلبه، فيظنّ بالله ﷻ خيراً في كلّ طاعاته وأعماله؛ فيوقن بإجابة الدّعاء، وقبول العمل، ومغفرة الذنوب. جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تبارك وتعالى: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة»[(١)] .

ومعنى (ظن عبدي بي) «ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها، تمسكا بصادق وعده»[(٢)].

ولحسن الظن بالله ﷻ في حال الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام - ظهوراً يؤكد أنهم يدعون الله ﷻ وهم مستسلمون حقاً أنّه سبحانه معهم، ويدبّر أمورهم، ويعلم بحالهم، ويجيب دعاءهم، ومن ذلك ما دعا به إبراهيم عليه السلام حين ترك زوجه وابنه في الوادي ممتثل للأمر، ومحسن للظنّ، قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[(٣)] فأعطاه الله ﷻ سؤله، وأجاب دعاءه. وكذلك دعاء يعقوب عليه السلام قال تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[(٤)]. وقال: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد ١٢١/٩، باب قول الله تعالى:﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾[آل عمران:٢٨] رقم (٧٤٠٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، ٤/ ٢٠٦١، باب الحث على ذكر الله تعالى، رقم (٢٦٧٥).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٤٨١/٢٠، ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأحمد بن عمر القرطبي ٧/٥، تحقيق: محيي الدين ديب ميستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير-دمشق-بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

(٣) [سورة إبراهيم، الآية ٣٧]

(٤) [سورة يوسف، الآية ١٨]

مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[2] فيعقوب عليه السلام «لم ينزل به بلاءٌ قط إلا أتى حُسْنَ ظنّه بالله من ورائه»[3].

٤- تفويض الأمر إلى الله ﷻ والتوكل عليه:

صدق اللجوء إلى الله والاعتصام به، والتوكل عليه، وتعلق القلب به ﷻ من أعظم الأسباب التي يتحقق بها الدعاء ويندفع بها البلاء، فكلما تمكنت معاني التوكل وتفويض الأمور لله من القلب، زاد القرب من الله، والتعلق به، وامتلأ القلب إيماناً وتسليماً واطمئناناً.

ويظهر الأمر واضحا في حال الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- الذين فوضوا أمرهم لله ﷻ، وتوكلوا صدق التوكل عليه، جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «(حسبي الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد حين قالوا: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾[4]»[5].

ونبي الله موسى عليه السلام حين توجه لمدين متوكلاً على ربه ﷻ دعا مفوضا أمره إلى الله ، فقال بعد أن سقى للمرأتين: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾[6]. فقد ذكرت حاجته وفقره لربه، ولجأ إليه، وعلّق قلبه به فما خاب أو خسر، حيث لم تتأخر الإجابة من القريب المجيب، قال تعالى: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ

(١) [سورة يوسف، الآية ٦٧]
(٢) [سورة يوسف، الآية ٨٣]
(٣) جامع البيان للطبري ١٦/ ٢٢٧.
(٤) [سورة آلِ عِمْرَانَ، الآية ١٧٣]
(٥) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله ﴿ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ ٦/ ٣٩ (٤٥٦٣).
(٦) [سورة القصص، الآية ٢٤]

﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾[1]، . وكذلك ما حصل لموسى ﷺ حين سار بقومه المؤمنين وتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً، فكان أمامهم البحر ومن خلفهم فرعون وأتباعه، ولم يكن ثمت نجاة بل هو الادراك والهلاك، حتى قال موسى ﷺ بلغة الثبات وتفويض الأمر لله وصدق التوكل عليه، والإطمئنان بوعده: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[2].

المطلب الثاني: الآثار الظاهرة (الحسية)

١- التمكين: تمكين الدين والنصر للأنبياء ﷺ كان أمر ظاهراً ومحسوساً من خلال دعاءهم وصبرهم وثباتهم ويقينهم بنصر الله ﷻ لدينه، وتمكين دعوتهم.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[3]. وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[4]. ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾[6].

وقد تحقق وعد الله ﷻ بالنصر والتمكين لرسله -عليهم الصلاة والسلام- وأتباعهم من المؤمنين أيضا، وهذا النصر ليس نصرا في أرض المعارك فقط؛ بل هناك نصر المنع من أعدائهم، كما قال سبحانه عن صالح ﷺ: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا

(١) [سورة القصص، الآية ٢٦]
(٢) [سورة الشعراء، الآية ٦٢]
(٣) [سورة الصافات، الآيات ١٧١-١٧٣]
(٤) [سورة إبراهيم، الآيات ١٣-١٤]
(٥) [سورة الحج، الآية ٤١]
(٦) [سورة الحشر، الآية ١٢]

مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾[1].

ومنع الله سبحانه اليهود من قتل نبيه عيسى عليه السلام ورفعه إليه، كما قال سبحانه: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا﴾[2].

وكذلك منع الله سبحانه نبيه محمد ﷺ من كفار قريش حين أحاطوا بداره يوم الهجرة، فخرج من بين أيديهم وهم لا يبصرونه، ولحقوا به حتى وصلوا الغار الذي اختفى فيه هو وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه ولم يعلموا بوجوده، كما قال سبحانه: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[3].

ومن نصر الله عز وجل لأنبيائه ورسله الإعانة على أعدائهم، والانتقام منهم، ومن ذلك ما حصل لنبينا محمد ﷺ في غزوة بدر وحنين وفتح مكة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[4]. وقال: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ﴾[5]. وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾[6].

وقد انتصر الله عز وجل لأنبيائه -عليهم الصلاة والسلام- فانتقم ممن كذب به

(١) [سورة النمل، الآيات ٤٨-٥١]
(٢) [سورة النساء، الآية ١٥٧]
(٣) [سورة التوبة، الآية ٤٠]
(٤) [سورة آل عمران، الآية ١٢٣].
(٥) [سورة التوبة، الآية ٢٥].
(٦) [سورة الفتح، الآية ٢٤].

وبأنبيائه وأهلكهم كقوم نوح، هود وصالح وشعيب وموسى -عليهم الصلاة والسلام-، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(١). وقال:﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾(٢). وقال عن قوم نوح:﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴾(٣). وقال عن قوم موسى:﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾(٤).

ومن نصر الله ﷻ لأنبيائه التمكين في المحاجة والمناظرة. قال سبحانه عن نبينا إبراهيم ﷺ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(٥).

٢- رد البلاء ورفعه:

من آثار الدعاء رفع البلاء والكرب والمصائب؛ حيث يحمل الدعاء في طياته معاني التسليم والتضرع والانكسار مع تفويض الأمر لله سبحانه، فالدعاء يُمكّن الإيمان في القلب ويُقويه، وقد ظهر ذلك جلياً واضحا في أدعية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- الذين ابتلوا بصنوف الابتلاءات وأصعب المحن والشدائد غير أنهم واجهوا كل ذلك بإيمان وصبر، وثبات وتوكل على الله سبحانه؛ لعلمه أنه لا نجاة ولا عصمة لهم إلا بالله سبحانه، لذا كانت مواقفهم من الابتلاءات مثالا يحتذى لا سيما وهم قدوات البشرية وأكثرهم تعرض للابتلاءات.

ولعلمهم بأثر الدعاء في رفع البلاء لزموه، فدعوا بإيمان ويقين وصدق توكل

(١) [سورة الروم، الآية ٤٧].
(٢) [سورة الزخرف، الآية ٢٥].
(٣) [سورة يونس، الآية٧٣].
(٤) [سورة الأعراف، الآية ١٣٦].
(٥) [سورة البقرة ، الآية ٢٥٨].

وتفويض، واثقين من إجابة الله القادر لهم بتغير حالهم، وكشف ضرهم وكربهم، ومن ذلك ما تعرض له إبراهيم ﷺ من الإلقاء في النار فلم يرفع حاجته لأحد ليعينه أو ينقذه؛ لكنه دعاء ربه وخالقه، ونسى كل المخلوقات فكان جزاؤه أن كانت النار بردا وسلاما عليه، قال سبحانه: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[1].

وما جاء عن أيوب ﷺ حين دعا الله ﷻ بدعاء يكتسيه التذلل والضعف، ويكتنفه الحياء بعد أن أنهكه المرض أن يشفيه، يقول تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾[2]. فجاءته الإجابة، بعطاء من الكريم، وثناء من العظيم جزاء صبره، فقال سبحانه: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[3]. وكذلك يونس ﷺ حين أظلم كل شيء حوله، فظلمات الليل والبحر وبطن الحوت، وأوشك على الهلاك نادى ربه فأنجاه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

وموسى ﷺ يقف بين البحر المتلاطم أمامه، والعدو بجحافله من خلفه، ومع عظم هذا الكرب، وقلة الحيلة فيدعو بيقين الواثق من ربه فيقول: ﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾[5]. فيُجيب الله دعاءه وينجيه بضربة العصا للبحر وانفلاق البحر له وقومه.

ونبينا محمد ﷺ يمرّ بالكروب الكثيرة كمحاصرته في الغار، وانقطاع الأسباب،

(١) [سورة الأنبياء، الآيات ٦٨-٦٩]
(٢) [سورة الأنبياء، الآيات ٨٣-٨٤]
(٣) [سورة ص، الآيات ٤٢-٤٤]
(٤) [سور الأنبياء، الآيات ٨٦-٨٧]
(٥) [سورة الشعراء، الآيات ٦٢-٦٥]

وقُرب العدو من الباب، فيقول بلسان الواثق الموقن: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾(١). فأنجاه الله ﷻ منهم، ونصره بقُدرته وحمايته له في كلّ وقت وحين وأكمل طريق الهجرة بسلام، وفي الحديث عن أبي بكر ﷺ: «قُلتُ: للنبيِّ ﷺ: وأنَا في الغَار: لو أنَّ أحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: ما ظَنُّكَ يا أبَا بَكرٍ باثْنَيْنِ اللَّه ثَالِثُهُمَا»(٢).

هؤلاء هم أنبياء الله وصفوته، أكثر الناس ابتلاء صبروا واحتسبوا، وتحملوا صنوف الابتلاءات، ونالوا أعلى الدرجات وأشرف المقامات بصبرهم وتحملهم.

٣- حصول الأمن والبركة:

إن من أعظم آثار الدعاء حصول الأمن والبركة، فهي نعمة من نعم الوهاب، يُنعم بها على من يشاء من خلقه، والبركة: «النماء والزيادة حسية كانت أو معنوية» (٣) و«هي ثبوت الخير الإلهي في الشيء، ودوامه»(٤). والبركة كلها لله تعالى ومنه، وهو المبارك جل وعز بيده الخير كله، يقول ابن القيم ﷺ:«فإن الرب هو الذي تبارك وحده، والبركة كلها منه، وكل ما نسب إليه مبارك فكلامه مبارك، ورسوله مبارك، وعبده المؤمن النافع لخلقه مبارك، وبيته الحرام مبارك»(٥)، قال تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾(٦). وعيسى ﷺ يبين حاله فيقول:﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾(٧).

(١) [سورة التوبة، الآية٤٠]

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب المهاجرين وفضلهم ٤/٥ رقم (٣٦٥٣) واللفظ له. ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ ٤/ ١٨٥٤ رقم (٢٣٨١).

(٣) الكليات للكفوي ٢٤٨.

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٥٤. ينظر: الكليات للكفوي ٢٤٨.

(٥) الداء والدواء (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي) لابن قيم الجوزية، ١٣١.، تحقيق:علي الأثري، دار ابن الجوزي- الدمام ، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

(٦) [سورة هود، الآية ٤٨]

(٧) [سورة مريم، الآية٣١]

وبالأمن والبركة يطمئن قلب العبد وينشرح صدره، وينال زيادة الخيرات وكثرة الرزق، وتحقق الأمنيات، واتساع الأوقات، فما حلّت البركة من اللّه ﷻ على أحد إلا كان مباركاً في كل أمر وشأن، وصفت نفسه، وارتاح قلبه، وأثمر الرضا والقناعة في حياته. فالبركة نماء وزيادة، متى حلّت في شيء كثُر، وإذا قرّت في مكان بُورك خيراً، وعمّ نفعاً.

لذا حرص الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- على الدعاء بطلب البركة من اللّه ﷻ؛ لعلمهم أنها تلتمس منه سبحانه، وبها يحصل الخير لهم. فنوح -عليهم الصلاة والسلام- دعاء ربه ﷻ بأن يبارك له في المكان الذي ستقف عنده السفينة قال تعالى:﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾[1].

ودعا إبراهيم عليه السلام ربه ﷻ بأن يُنعم على مكة وأهلها بالأمن والبركات: قال تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[2].

ومن دعاء النبي ﷺ: «وبارك لي فيما أعطيت»[3].

فالعبد في هذا الدنيا أحوج ما يكون للتماس البركات من اللّه سبحانه، وطرق أبوابها التي رضيها سبحانه، وشرعها لنا، للوصول والحصول على خيري الدنيا والآخر.

٤- الذكر الحسن:

إن من آثار الدعاء التي يفرح بها العبد أن يبقى له أثراً وذكرا جميلاً، وثناء

(١) [سورة المؤمنون، الآية ٢٩]
(٢) [سورة البقرة، الآية ١٢٦]
(٣) أخرجه أبو داود: باب تفريع أبواب الوتر، باب القنوت في الوتر، ٢/ ٦٣ رقم (١٤٢٥)، والترمذي: أبواب الوتر، باب ماجاء في القنوت في الوتر، ١/ ٥٨٧ رقم (٤٦٤)، والنسائي في السنن: كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب الدعاء في الوتر ٣/ ٢٤٨ رقم (١٧٤٥)، وابن ماجه: أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب ماجاء في القنوت في الوتر ٢/ ٢٥٢ رقم (١١٧٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبو داود: ٣٩٢ رقم (١٤٢٥)

حسنا مستمرا، والذكر الحسن والدائم للعبد بعد موته من نعم الله سبحانه العظيمة التي يختص بها من يشاء من عباده المصطفين، الذين أطاعوه، وامتثلوا أمره، ونشروا دينه، وأعلوا كلمته، ونفعوا الخلق، وبذلوا البرّ والخير، مع الخلق الجميل، قال سبحانه: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴾[2]، أي «ثناء حسنا رفيعا في كل أهل الأديان، فكلهم يتولونهم، ويثنون عليهم»[3].

كما أثنى سبحانه على نبينا محمد ﷺ فقال: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾[4]. فهو ﷺ أرفع الناس قدرا وأبقاهم ذكرا، وأكثرهم للخلق نفعا، وأعظمهم شرفا.

ولذلك حرص الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- على استمرار أثرهم، فدعوا ربهم ببقاء ذكرهم الحسن في الأخرين، ومن ذلك ما دعا به إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾[5]. قال الإمام الطبري رحمه الله في معنى الآية أي: «واجعل لي في الناس ذكرا جميلا وثناء حسنا، باقيا فيمن يجيء من القرون بعدي»[6].

فدعا الخليل إبراهيم عليه السلام بأن يكون له ذكراً طيباً، وعملاً يُقتدى، فأجاب الله دعاءه، وكان قدوة الموحدين، وبقي ذكره في العالمين على مرّ الأيام والأعوام والدهور.

والله « قد أمر نبيه محمدا ﷺ باتباع ملة إبراهيم عليه السلام، فقال له: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[7]، وجعل تعالى ذكره إبراهيم

(١) [سورة ص، الآيات ٤٥-٤٧]
(٢) [سورة مريم، الآيات ٤٩-٥٠]
(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن لأبي محمد الحسين البغوي، ٣/ ٢٣٧ ، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث- بيروت، ط١ ،١٤٢٠هـ
(٤) [سورة الشرح، الآية ٤]
(٥) [سورة الشعراء، الآية ٨٤]
(٦) جامع البيان الطبري ، ١٩/ ٣٦٤- ٣٦٥.
(٧) [سورة النحل، الآية ١٢٣]

إماما لمن بعده»[1]

ومما يجدر بالعبد أن يقدم لنفسه أثر طيباً، وعملا صالحاً، وإحساناً وبراً، وذكراً حسنا لا يقف أجره، ولا ينقطع بالموت أثره، فالذكر للإنسان عمر ثاني، يذكره الناس فيدعون له، ويترحمون عليه، ويبقى له ما قدم من الباقيات الصالحات وخالدات الأعمال.

٥- استجلاب المغفرة والرحمة:

الرحمة والمغفرة منّة من اللّه سبحانه وإحسان وتفضل ولطف وعطف على من شاء من خلقه، قال سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾[2]. وقال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾[3] فالرحمة تشعر العبد بالراحة والاطمئنان في الدنيا، والأمن في الآخرة.

ومن الأسباب التي تستجلب بها الرحمة والمغفرة الدعاء؛ لذا سأل الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ربهم المغفرة والرحمة، ومن ذلك ما دعاء به آدم عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[4]. ودعا نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[5]. ودعا موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[6].

كما وجد الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- أن رحمة اللّه تغمرهم وتحوطهم وتكتنفهم في أشد المواقف، فنسائم الرحمة غمرت نوح عليه السلام حين كان في أمواج

(١) جامع البيان الطبري ٢٢٧/٣.
(٢) [سورة الكهف، الآية ٥٨]
(٣) [سورة الأنعام، الآية ١٣٣]
(٤) [سورة الأعراف، الآية ٢٣]
(٥) [سورة هود، الآية ٤٧]
(٦) [سورة الأعراف، الآية ١٥١]

كالجبال قال تعالى: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾(١). وهبت نسائم الرحمة أيضا على إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾(٢).

وأحاطت رحمة الله يوسف عليه السلام صغيرا في الجبّ، وكبيراً في السجن وفي الملك، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٣). واطمئن برحمة الله ﷻ يونس عليه السلام في بطن الحوت، قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾(٤).

واكتنفت رحمة الله تعالى موسى عليه السلام وهو في اليم رضيع لا حول ولا قوة ولا حراسة له سوى من رحمة أرحم الراحمين، وأحاطته وهو في قصر فرعون، قال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٥). وقال سبحانه: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾(٦).

وغمرت رحمة الله نبينا محمد ﷺ في هجرته، وغزواته، وكل أحواله، يقول سبحانه: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾(٧).

(١) [سورة هود، الآية ٤٣]
(٢) [سورة الأنبياء، الآية ٦٩]
(٣) [سورة يوسف، الآية٩٠]
(٤) [سورة الأنبياء، الآيات ٨٦-٨٧]
(٥) [سورة القصص، الآية ١٣].
(٦) [سورة طه، الآية ٣٩]
(٧) [سورة التوبة، الآية ٤٠].

فرحمة الله ﷻ تتجلّى على الخلق عامّة وعلى المؤمن خاصّةً، ويشعر بها من لجأ إليه، وآوى تحت كنفه، وأنس بالقرب منه، وترك ما سواه، وقطع الرجاء من غيره، وقصد رحمة مالك الملك أرحم الراحمين: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾[1].

فما أحوجنا أن نقتدي بأنبياء الكرام -عليهم الصلاة والسلام- لطلب المغفرة والرحمة من الرب الكريم، ودعاء الله ﷻ؛ لنيل المغفرة والرحمة في الدنيا والآخرة. ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[2]. ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[3].

«فقل ما شئت عن رحمته، فإنها فوق ما تقول، وتصور ما شئت، فإنها فوق ذلك، فسبحان من رحم في عدله وعقوبته، كما رحم في فضله وإحسانه ومثوبته، وتعالى من وسعت رحمته كل شيء، وعم كرمه كل حي، وجل من غني عن عباده، رحيم بهم، وهم مفتقرون إليه على الدوام، في جميع أحوالهم، فلا غنى لهم عنه طرفة عين»[4].

(١) [سورة فاطر، الآية ٢].
(٢) [سورة الكهف، الآية١٠]
(٣) [سورة المؤمنون، الآية ١١٨]
(٤) المرجع السابق ٥١٣.

الخاتمة

الحمد لله حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه الذي يسَّر إتمام هذا البحث، وأسأله سبحانه أن ينفع به، وقد خلص البحث إلى نتائج في تحقيق التوحيد في أدعية الأنبياء، من أبرزها:

١- أن تحقيق التوحيد قدر زائد على معنى التوحيد، وهو انجذاب الروح إلى اللّه محبة وخوفًا، وإنابة وتوكلاً، ودعاء وإخلاصًا وإجلالاً وهيبة، وتعظيمًا وعبادة.

٢- بيان دلالات دعاء الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في توحيد الربوبية في الإحياء والبعث والنفع والضرّ والرزق والعطاء والفتح والنصر.

٣- إن لدعاء الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- مزيد توثيق بمعنى توحيد الألوهيّة من إفراد الله ﷻ بالعبادة وتنزيه عن الشركاء والأنداد، والاستسلام والإخلاص، الخوف والرجاء والتوسل والتوكل والاستعانة.

٤- دلالات التوحيد ظاهرة جلية في أدعية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ؛حيث زخرت أدعيتهم بأسماء الله ﷻ وصفاته العليا تنزيها وتعظيما له، وإيماناً بمعيته، وإحاطته وعلمه وسمعه وبصره وقدرته.

٥- تقرير التوحيد، وحصول الطمأنينة واليقين، وحسن الظن بالله مع تفويض الأمر إليه والتوكل عليه من أبرز الآثار العقدية الباطنة لأدعية الأنبياء-عليهم الصلاة والسلام-.

٦- التمكين وردّ البلاء ورفعه وصلاح الحال والذرية، وحصول الأمن والبركة والذكر الحسن واستجلاب المغفرة والرحمة من أهم الآثار العقدية الحسية لأدعية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

٧- عدم إجابة الدعاء لبعض الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام -، لم بمنعهم من

الاستمرار فيه؛ ولعلمه أنهم متعبدون بالدعاء، ومستسلمون لقضاء الله ﷻ، وهو موضوع يحتاج للبحث.

٨- تحقيق التوحيد في أدعية الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام - الواردة في السنة يحتاج لمزيد بحث لاستنباط الدلالات والآثار.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الخاتم سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١- البداية والنهاية لإسماعيل بن كثير الدمشقي، اعتنى بها: عبد الرحمن اللادقي ومحمد بيضون، دار المعرفة-بيروت، ط ٤، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢- بدائع الفوائد لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربي-بيروت، بدون ط- ت.

٣- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد لمحمد الطاهر ابن عاشور، دار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ م.

٤- التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي، تحقيق: ، دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٥- التعريفات لعلي الجرجاني، تحقيق:إبراهيم الابياري،دار الكتاب العربي-بيروت، ط٤، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٦- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير، تحقيق: محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٧- التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد المناوي ، تحقيق: محمد الداية، ط ٢، ١٤١٠-١٩٩٠م.

٨- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد لسليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- بيروت، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن ابن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ، ط ١، -١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

١٠- جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١١- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق: حمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية-القاهرة، ط٢، ١٣٨٤ه،١٩٦٤م.

١٢- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ، تحقيق: حازم القاضي، مكتبة نزار الباز- مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م

١٣- حاشية كتاب التوحيد لعبد الرحمن محمد بن قاسم، ط ٣، ١٤٠٨هـ، نسخة مصورة من المطابع الأهلية.

١٤- الداء والدواء (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي) لابن قيم الجوزية ، تحقيق: علي حسن الأثري، دار ابن الجوزي-الدمام ، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٥- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثانية لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، طبع مجلس دائرة المعارف العثمانية-حيد آباد الهند، ط٢، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

١٦- زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي-بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ

١٧- سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية، بدون: ط-ت.

١٨- سنن أبي داود، تحقيق: محمد عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، بدون (ط-ت)

١٩- سنن النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط قدم له: عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.

٢٠- شأن الدعاء لأبي سليمان حمد الخطابي، تحقيق:أحمد الدقاق، دارالثقافة العربية- دمشق، ط٣، ١٤١٢هـ.

٢١- شرح سنن أبي داود، أبو محمد محمود بن أحمد بدر العيني، تحقيق: أبو المنذر خالد المصري ، مكتبة الرشد-الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٢- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٣- صحيح الترغيب والترهيب للشيخ ناصر الدين الألباني كتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٤- صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بدون ط-ت.

٢٥- صحيح سنن ابن ماجه للشيخ ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف-الرياض،ط ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢٦- صحيح سنن أبي داود للشيخ ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف-الرياض، ط٢- ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٢٧- صحيح سنن الترمذي للشيخ ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف- الرياض، ط ٢-١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٢٨- صحيح مسلم تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون ط- ت.

٢٩- العبر في خبر من غبر لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت - الكويت، ط٢، ١٩٤٨م.

٣٠- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية لمحمد بن عبد الهادي،

مكتبة المؤيد- الرياض،

٣١- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة-بيروت، ١٣٧٩هـ.

٣٢- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: د.الوليد بن عبد الرحمن آل فريان، توزيع: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية، ط٤، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٣٣- القول السديد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢١هـ.

٣٤- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي، قابله على نسخه: د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط ٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٣٥- لسان العرب لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر - بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤ هـ .

٣٦- مجموع الفتاوى لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف -المدينة المنورة، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٣٧- مدارج السالكين بين مسالك إياك نعبد وإياك نستعين محمد بن أبي بكر ابن القيم. تحقيق: محمد البغدادي، دار الكتاب العربي-بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ.

٣٨- مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د.عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة-ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٣٩- المصباح المنير لأحمد بن محمد الفيومي، اعتنى به: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية- ط ٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م. المكتبة العصرية- صيدا -بيروت.

٤٠- معالم التنزيل في تفسير القرآن لأبي محمد الحسين البغوي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث- بيروت، ط١ ،١٤٢٠هـ

٤١- معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم الزجاج، تحقيق:عبد الجليل شلبي، عالم الكتب- بيروت، ط١، ١٤٠٨ه.

٤٢- معجم تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق:رياض قاسم، دار المعرفة- بيروت، ط١ ،١٤٢٢هـ-

٤٣- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو ، دار الفكر- بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م..

٤٤- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد عياتي، دار المعرفة - بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٤٥- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محيي الدين ميستو وأحمد السيد ويوسف بديوي ومحمود بزال، دار ابن كثير- دمشق-بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٤٦- الوابل الصيب من الكلم الطيب لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث- القاهرة، ط٣، ١٩٩٩م.